

من التراث اللغوي

التركيب

دراسة لغوية في الفكر العربي

الدكتور محمد عبد السلام شرف الدين

من العقول فقدم نتاجا حضاريا يمثل في تاريخ الفكر
العالمى العام وصلة بين الفكر القديم والحديث .

ان مثل هذه الكتب — ان احسنت قراءتها —
تهد الباحثين بكثير من الآراء اللغوية التى تجد لها
مكانا رحبا فى الفكر اللغوى المعاصر بحيث يكون فى
احيائها رد اعتبار للفكر العربى ، ذلك الفكر الذى
ضرب فى ظهر الزمن ومع ذلك فانه قد بشر فى نظراته
وآرائه المتفرقة هنا او هناك ببعض ما ينادى به
اللغويون المحدثون .

ولعل من هذه النظرات المشرقة ما يجسده
الباحثون مبثوثا فى كتب اللغة والبلاغة من حديث عن
عناية اللغويين والبلاغيين العرب بالتركيب اللغوى
ذى العلاقات والعلامات .

جاء فى « الخصائص » : « حال الوصل اعلى
رتبة من حال الوقف ، وذلك ان الكلام انما وضع

كثيرا ما اخذت آراء العرب اللغوية من كتب
النحو التعليمية التى الفت فى عصور الضعف الفكرى
للحضارة العربية الاسلامية لغرض تعليمى بحت ،
غايته الاعتناء بالمسائل الاعرابية المتعددة وما يتصل
بها من عامل ومعمول وعمل لفظى او مقدر الخ .

وهذه الطريقة فى التعرف على الفكر اللغوى
العربى قاصرة ظالمة . اما انها قاصرة فلانها تترك
جزءا جها من التراث اللغوى العربى الف فى عصر
الازدهار الحضارى للعرب . واما انها ظالمة فلانها
ترمى هذا الفكر بالجفاف والفقر بناء على ما تهد به
هذه المؤلفات الضعيفة من آراء ونظرات .

وكى تعرف وجهة النظر العربية اللغوية حق
المعرفة على الباحثين الرجوع الى ما اسميه كتب
التراث اللغوى واعنى بها تلك الكتب التى الفت فى
عصر الاشراق الفكرى حين اتصل العقل العربى بغيره

للفائدة « والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة ، وإنما تجنى من الجمل ومدارج القول » (1) .

فالكلام — اذن — لا يتصور ولا يوقف على حقيقته الا بدخول العناصر اللغوية المفردة أى الكلمات فى تراكيب أو جمل .

واللغة العربية لغة اعراب . وكثيرا ما ربط اللغويون العرب بين ظاهرة الاعراب وتركيب الكلمات فى جمل ، فالاسم لا يستحق الاعراب الا اذا ركب مع غيره .

يقول ابن يعيش « الاسم اذا كان وحده مفردا من غير ضميّة اليه لم يستحق الاعراب لان الاعراب انها يؤتى به للفرق بين المعانى ، فاذا كان وحده كان كصوت تصوت به ، فان ركبته مع غيره تركيبا تحصل به الفائدة نحو قولك : زيد منطلق ، وقام بكر ، فحينئذ يستحق الاعراب لخبارك عنه . » (2)

ويقول فى موضع آخر — رابطا بين حركة الاعراب ووظائف الكلمات فى التركيب : « وكل واحد من الرفع والنصب والجر علم على معنى من معانى الاسم التى هى الفاعلية والمفعولية والاضافة . » (3)

و « ابن يعيش » فى النص السابق يربط —

كما هو واضح — بين الحالة الاعرابية التى هى امر اعتبارى ذهنى والمواقع الاعرابية المختلفة للكلمات ، فالاسم اذا كان مرفوعا قد يكون فاعلا .. واذا كان منصوبا يكون مفعولا وهكذا .

وتكلمة لكل أطراف الظاهرة اقول : ان لكل حالة اعرابية علامة اعرابية ويلاحظ ان العلامات الاعرابية تتعدد كما ان من شأنها ان يلفظ بها فهى امر لفظى وذلك على العكس من الحالة الاعرابية التى هى امر ذهنى — كما سبق — .

ومصطلح « المعانى » الذى اشار اليه ابن يعيش يراد به « المعانى التركيبية » التى تفهم من موقع الكلمات فى التركيب أو من الوظيفة التى تؤديها . ومعنى كونها « معانى تركيبية » انها لا تكون للصيغة اللغوية الا اذا ركب . فالكلمة الواحدة المفردة لا توصف بالمعنى التركيبى . وهذا ما قاله الشيخ « بهاء الدين بن النحاس » من أن الاعراب « دخل الاسماء لطريان المعانى عليها عند التركيب . » (4)

ويرتبط بالحالة الاعرابية التعرف على موقع الكلمة فى التركيب وهو الامر الذى كاد يأخذ معنى دينيا ، لانه مرد فهم تراكيب القرآن الكريم .

أخرج « أبو عبيد » فى فضائله عن « يحيى

(1) الخصائص ج 2 / 331

(2) شرح المفصل ج 1 / 49 ، انظر ايضا / 52 ، 57 ، 72 ، 73

(3) شرح المفصل ج 1 / 73 انظر ايضا 75 ، 84 ،

وجدت فى العصر الحديث تفسيرات كثيرة لما سماه القدماء « حركات الاعراب » آخر هذه التفسيرات ما جاء فى البحث الذى القاه الاستاذ الدكتور ابراهيم أنيس فى الجلسة الثامنة « لمؤتمر مجمع اللغة العربية » فى دورته العشرين ، والذى نشر فى الجزء العاشر من مجلة مجمع اللغة العربية بعنوان « رأى فى الاعراب بالحركات » وفيه يقول « ان حركات اواخر الكلمات لم تكن تفيد تلك المعانى التى يشير اليها النحاة من الفاعلية والمفعولية ونحو ذلك وإنما هى حركات دعا اليها نظام المقاطع وتواليها فى الكلام المتصل ،،، » انظر ج 10 / 56 . (اللسان العربى : — يراجع بحث للاستاذ عبد الحق فاضل فى عدد سابق عن أصل حركات الاعراب وعنوانه « اسرار الضمائر » .

وانظر ايضا احياء النحو — للمرحوم ابراهيم مصطفى

ج 10 / 51 — 54 بحث القاه المرحوم ابراهيم مصطفى بعنوان « مذاهب الاعراب »

ج 10 / 57 — 58 خطوات فى الاحتفاظ بعبقريّة النحو العربى للاستاذ / ل . ماسينيون عضو المجمع

ج 10 / نشأة الخلاف فى النحو للاستاذ / مصطفى السقا .

(4) الاشباه والنظائر ج 2 / 155 ، 156 ، انظر ايضا ج 2 / 25 تعليقه لكون البناء أصلا فى الانفعال .

لغة ثانية فان أصعب ما يقابله المتعلم هو كيفية الوقوف على التركيبات النحوية » (9) .

والكلمات الأخيرة من النص السابق هو ما قاله السيرا في القرن الثاني الهجري ويمكن — وان كان هذا استطرادا — بناء على الحقيقة السابقة تطبيق هذه القضية في تعليم اللغة : فينبغي أن تعلم اللغة — وخاصة للأجنبي — عن طريق تقديم النماذج التركيبية المختلفة لهذه اللغة ، لأنه بهذا يرى كيف تسلك الكلمات في التركيب فيعرف اللغة على أنها سلوك تركيبى معين .

والمصطلح المفضل لدى اللغويين العرب هو (التأليف) . ينقل « السيوطى » عن الامام « تقى الدين بن منصور بن فلاح » قوله في « المغنى » مقارنا بين « التأليف » و « التركيب » : التأليف حقيقة في الاجسام مجاز في الحروف والفرق بين التأليف والتركيب أنه لا بد في التأليف من نسبة تحصل فائدة تامة مع التركيب (10) .

يعلق « الاشمونى » على قول ابن مالك « الكلام وما يتألف منه » : — ولم يزل وما يتركب ، لان التأليف أخص ، اذ هو تركيب وزيادة ، وهى وقوع الالفه بين الجزاين (11) .

ويقول « ابو سليمان » — ولعله ابو سليمان الخطابى — : « المعانى المعقولة بسيطة فى بحبوحه النفس لا يحوم عليها شئ قبل الفكر ، فاذا لقيها الفكر بالذهن الوثيق التى ذلك الى العبارة والعبارة حينئذ تتركب بين وزن هو النظم للشعر وبين وزن هو سياقة الحديث وكل هذا راجع الى نسبة صحيحة

بن عتيق » قال : قلت للحسن يا ابا سعيد : الرجل يتعلم العربية يلتبس بها حسن المنطق ويقيم بها تراوته . قال : حسن يا ابن أخى ، فتعلمها فان الرجل يقرأ الآية فيعنى بوجهها فيهلك فيها ، وعلى الناظر فى كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره النظر فى الكلمة وصيغتها ومحلبا ككونها مبتدأ او خبرا او فاعلا او مفعولا او فى مبادئ الكلام او فى جواب الى غير ذلك (5) .

وتقدما ادعى « متى بن يونس » فى محاوره مع ابي سعيد السيرا في « ان معرفة الاسم والفعل والحرف كافية لمعرفة اللغة العربية » فقال ابو سعيد « اخطأت لانك فى هذا الاسم والفعل والحرف فتير الى رصفها وبنائها على الترتيب الواقع فى غرائز أهلها » (6) .

وتد وافق اللغويون المحدثون « ابا سعيد » فى هذا المعنى ذاهبين الى أنه لا يتكلم عن وظيفة الحدث اللغوى الا اذا كان فى تركيب ، وان الاهتمام ينبغى ان يوجه الى تركيب الاسماء والامعمال فى وحدات كبيرة (7) .

وقول ابي سعيد بأن هناك « ترتيبا واقعا فى غرائز أهلها » يوافقه ما قاله المحدثون من ان شخصية اللغة تكمن فى تراكيبها ، وطرق رصف كلماتها فسى جمل وهذا امر قد يوصف بالثبات والرسوخ « وبعض الناس يعتقد ان اللغات تتغير ، ولكن التركيبات تبقى كما هى ، ومعظمهم يفرق بين التغير النحوى والتغير فى الكلمات (8) .

وقد تزيد التركيبات النحوية بعد البلوغ ، ولكن بدرجة ابطأ كثيرا مما تزيد بها الكلمات ، وفى تعلم

(5) الانتان ج 1 / 180

(6) ابوحيان : الامتاع والمؤانسة ج 1 / 115

(7) What is Language PP. 32 — 33

(8) What is Language P. 20

(9) التطوير النحوى للغة العربية / 136 ، 137 . An Introduction to Discriptive Linguistics P. 7

(10) الاشباه والنظائر ج 1 / 100

(11) شرح الاشمونى ج 1 / 9

أو فاسدة وتأليف مقبول أو ممجوج (12) .

نفى « التأليف » علاقة وارتباط ، وملاءمة ونسبة — وكلها الفاظ بمعنى — .

وهكذا يظهر أن اللغويين العرب عرفوا أن من المعنى ما هو تركيبى أى يحدث للكلمات حال تركيبها ومنه ما هو معجبى حاصل للمفردات اللغوية . وحديثهم في هذا يسبق بزمن طويل حديث اللغويين الغربيين وأكاد أذهب إلى أنه من المحتمل أن يكون الغربيون قد قرأوا تراث العرب في هذا الموضوع وتأثروا به ، فالفكرة ذات أصالة لدى اللغويين العرب .

ومما يرجح أصالة الفكرة عند العرب أنه — ابتداء من القرن الثانى الهجرى ، التاسع الميلادى تقريبا — بدأ البلاغيون العرب يتحدثون عن الفصاحة والنظم ، وكان حديثهم هنا صادرا عن رأيهم في إعجاز القرآن وفي هذا قالوا : « ليست الفصاحة بعائدة إلى الدلالات الوضعية للألفاظ المفردة ، بدليل أن العالم بلغة من اللغات لا يحتاج في التفلسف بمفرداتها إلى الروية والفكر ، ويحتاج في التكلم بالكلام الفصيح بتلك اللغة إلى الروية فالفصاحة غير متعلقة بالمفردات وأنه لو كانت الفصاحة بسبب دلالات مفردات الكلم لبتيت الفصاحة كيفما تركيبت تلك المفردات ولم يكن النظم والترتيب معتبرا أصلا . كما أن الكلمة قد تكون فصيحة في موضع بعد أن كانت ركيكة في غيره ، ولو كانت فصاحتها لذاتها ولدلالاتها الوضعية لما اختلف ذلك باختلاف المواضع (13)

ويقول « ابن الأثير » وأعلم أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها ، لأن التركيب أعسر وأشق . ألا ترى أن الفاظ القرآن الكريم

— من حيث انفرادها — قد استعملتها العرب ومن بعدهم ومع ذلك فانه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه ؟ وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب (14)

وللقاضى « عبد الجبار » المعتزلى في ذلك كلام ينبه فيه على أهمية وظيفة المفردات المرتبطة بموقعها . يقول : « أعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلم وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة .. وقد تكون هذه الصفة بالأعراب .. وقد تكون بالموقع .. ولا بد من هذا الاعتبار في كل كلمة ، ثم لا بد من اعتبار مثله في الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض لأنه قد يوجد لها عند الانضمام صفة ، وكذلك لكيفية أعرابها وحركاتها وموقعها (15)

ومصطلح « النظم » هو ما اختاره البلاغيون بديلا لمصطلحات : التأليف والتركيب والترتيب والترصيف إلى آخره وهو — أى النظم — في اللغة جمع اللؤلؤ في السلك ، وفي الاصطلاح تأليف الكلمات والجل مرتبة المعانى متناسبة الدلالات (16)

يقول « الخطابى » : « وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحدق فيها أكثر ، لأنها لجام الألفاظ وزمام المعانى ، وبه تنتظم أجزاء الكلام ، ويلتئم بعضه ببعضه فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان (17) .

ويربط « الزملكانى » بين النظم ومراعاة أحكام النحو . يقول : « يرجع الإعجاز إلى توخى معانى النحو وأحكامه في النظم بأن يوقع كل فن في رتبته العليا في اللفظ والمعنى الإفرادى والتركيبى (18)

(12) الامتاع والمؤانسة ج 2 / 138 ، 139

(13) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز / 12 — 14

(14) المثل السائر ج 1 / 213

(15) المعنى ج 16 / 214

(16) التعريفات / 164 أنظر أيضا البلغة في أصول اللغة / 180 ، 181 ، البلاغة تطور وتاريخ / 160

(17) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن / 33

(18) التبيان في علم البيان / 195

التركيبى ينبغى أن ينسب الى الفكر العبرى أن اللغويين العرب ملأوا مؤلفاتهم بتعريفات صادرة عن هذا الاتجاه .

قالوا مثلا في تعريف الكلام : « الكلام ما كان من الحروف دالا بتأليفه على معنى يحسن السكوت عليه » (22) أو هو « ما تضمن كلمتين بالاسناد » (23).

ويقول أبو سعيد السيرافى : « الكلام اسم واقع على أشياء قد اختلفت بمراتب مثال ذلك أن تقول : هذا ثوب والثوب اسم يقع على أشياء بها صار ثوبا ، لأنه نسج بعد أن غزل ، فسداته لا تكفى دون لحمته ولحمته لا تكفى دون سداته ثم تأليفه كنسجة » (24) .

وتشبيه الكلام بالثوب تشبيه ظريف فالكلمات المؤلف منها الكلام تشبه الخيوط التى منها نسج الثوب . واستكمالا لكل أطراف الصورة التشبيهية فإن الحروف تقابل المادة التى يصنع منها الثوب أن كانت صوفا أو قطنا الى آخره .

بعبارة أخرى يعد تكوين الكلمات من الحروف عملية « غزل » تشبه تكوين الخيوط من الشعر ، وتركيب الكلمات وتأليفها لتنتج كلاما يشبه عملية « النسج » التى هى تكوين القماش من « الخيوط » .

وما قاله « أبو سعيد » وجد في كتابات اللغويين الاوربيين ، فمن قولهم « الانسان ينسج جملا » (25) ومن قولهم كذلك : « أن معنى خيط الكلمات ليس فيها في حد ذاتها ولكن في تركيبها في جمل » (26) .

ولا احتاج الى التنبيه على أن فكرة النظم وطلتها باعجاز القرآن كانت حديث البلاغيين العرب ابتداء « بالجاحظ » وانتهاء « بعبد القاهر الجرجاني » الذى وضع فى النظم نظرية نسبت اليه وان كان قد تأثر فيها بمن سبقه (19)

وكى أدل على أن البلاغيين واللغويين العرب سبقوا المحدثين الى الحديث عن النحو الوظيفى والمعنى التركيبى ، اسوق نصين احدهما عربى والآخر غربى والشبه بين النصين واضح غوى .

قال القاضى (عبد الجبار) : « أن الكلام الفصحى مراتب ونهايات وان جملة الكلمات وان كانت محصورة فتأليفها يقع على طرائق مختلفة من الوجوه (20)

ومعنى النص واضح قريب ، فكلية مثل « كتاب » قد تكون فاعلا ، أو مفعولا ، أو مبتدا ، أو مضافا فالكلمة واحدة وطرائق تأليفها متعددة وبالتالى فوظيفتها فاعلا غير وظيفتها مفعولا . وهكذا .

ويقول صاحب احدث كتاب فى علم اللغة التركيبى أو النحو الوظيفى : « سببت النظرة الوظيفية للنحو ثورة جذرية فى التحليل اللغوى ، فانه اذا ما كانت الوظيفة أمرا رئيسيا ، فان تحليل أى تركيب من شأنه أن ينتج بشراء كلها كانت الوظائف المختلفة محددة فى التركيب وهذا ينتج عن تقسيم خيط التركيب الى أجزاء وظيفية كثيرة » (21)

ومما يدل أيضا على أن الحديث فى النحو

(19) أسرار البلاغة / 4 ، 338 ، 339 ، 388 ، 389 ، اعجاز القرآن للباتلانى / 140 - 148 ، 149 ، 153 ، 204 ، 205 ، أسرار العربية / 30 ، 34 ، 35

(20) المغنى ج 16 / 214

(21) Introduction to Tagmemic Analysis P.8

(22) أسرار العربية / 2 شرح الأشموني ج 1 / 28 ابن عقيل / 3

(23) الكافية / 2

(24) الامتاع والمؤانسة ج 1 / 121

(25) Thought and Language P. 143

(26) Automated Language Processing PP. 6-7

فالفقويون المعاصرون وافقوا أبا سعيد في إعطاء التركيب مصطلح « النسج » وأعطاء الكلمات المفردة لفظة « خيوط » وكان التشابه بين المحدثين واللغويين العرب التداخي حدث حتى في اللفاظ .

على أن المحدثين واصلوا سيرهم حتى عمتوا الفكرة ووضعوا لها نظريات مختلفة أخذت بدورها زمنا طويلا حتى انتهت الى ما قدموه من مستويات التحليل اللغوية المختلفة التي يتنوع شرح العلماء لها ويتفاوت تبعاً لاختلاف أسس النظرية الفكرية .

ومن تعريفات اللغويين العرب التي قدموها في ضوء فهمهم لعلم اللغة التركيبى تعريفهم للنحو بأنه « انتهاء سمت كلام العرب في تصرفه من أعراب وغيره كالتركيب (27) و معانى النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكاته ، وبين وضع الحروف فى مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير » (28)

قال صاحب « المستوفى » — كما ينقل عنه « السيوطى » : « النحو صناعة علمية ينظر لها أصحابها فى الفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى فيتوصل باحدهما الى الأخرى » (29)

كما أن بعض أجزاء الكلام عرف فى ضوء من علم التركيب الذى تجلّى اهتمام العرب به كما سبق ، جاء فى أسرار العربية : « لم سمي الذى والى .. أسماء الصلوات ؟ قيل لأنها تفتقر الى صلوات توضحها وتبينها ، لأنها لم تفهم معانيها بأنفسها ، الا ترى أنك

لو ذكرتها من غير صلة لم تفهم معناها حتى تضم الى شىء بعدها » (30)

وعن هذه النزعة صدر تعريفهم للاسم ، فقد ذكروا للاسم علامات كثيرة منها الوصف نحو زيد العاقل ، ومنها أن يكون فاعلا ، أو مفعولا .. ومنها أن يكون مضافا اليه .. ومنها أن يكون مخبرا عنه (31)

فهذا تعريف يأخذ فى اعتباره المواعع الاعرابية أو المواعع الكلامية التى يقع فيها الاسم فىؤدى الوظيفة النحوية المعينة . حقيقة ساد التعريف المؤسس على المعنى فكر النحويين لكن هذا لا ينفى أنهم كانوا أحيانا يتخذون « الوظيفة » أساسا لتعريفاتهم (32)

وهكذا بان بوضوح أن العناية بدراسة التركيب اللغوى ذى العلاقات والارتباطات هى بنت الفكر العربى اللغوى والبلاغى. وتمتلىء أمهات الكتب العربية بالمصطلحات الشارحة فهىم البلاغيين واللغويين فى هذا المجال .

من هذه المصطلحات مصطلح « التصرف » ينقل « السيوطى » عن « أبى حيان » فى شرح التسهيل : « التصرف فى الاسماء أن تستعمل بوجوه الاعراب فيكون مبتدأ ومفعولا ، ويضاف اليه ، ويقابله أن يقتصر فيه على بعض الاعراب كاقترار « سبحان » على المصدرية ، و « عندك » على الظرف ، ونحو ذلك (33) .

فالاسم « المتصرف » هو ما ورد فى مواقع

(27) الخصائص ج 1 / 34

(28) الامتاع والموانسة ج 1 / 121

(29) الاقتراح / 6 أنظر أيضا فصل الخطاب فى لغة الاعراب / 122 ، 123

(30) أسرار العربية / 149 ، 150

(31) أسرار العربية 5 ، 6 أنظر أيضا الكافية / 2 ، الاقتراح / 71 ، شرح المفصل ج 1 / 25

(32) أنظر مثلا حديثهم فى المشابهة بين الاسم والفعل المضارع : أسرار العربية / 13 ، 29 تعريفهم

الفاعل ونائب الفاعل شرح المفصل ج 1 / 74 ، الانصاف ج 1 / 53 ، 54 ، أسرار العربية

35 ، 38 تعريفهم للفعل أسرار العربية / 6 ، 41 ، 44 ، 47 ، 52 ، مناهج البحث فى

اللغة / 20

(33) الاشباه والنظائر ج 2 / 64 ، 77 ، 79

وظيفية متعددة ، اى كان غنيا في معناه التركيبى وعكسه الاسم غير المتصرف او « المختص » وقد أعطى هذا المصطلح لبعض الظروف التى لا تفارق النصب على الظرفية .

ان الفكر الغربى في النحو الوظيفى يواجه بعض الصعوبات في تحديد الوظائف النحوية اذ مازال بعض هذه الوظائف غامضا غير محدد . من ذلك مثلا وظيفة « الوصف » وقد وجه بهذا الصدد سؤال « ما هى انواع الوصف ؟ » (34) .

وهذه الحال من عدم الوضوح والغموض في وظائف الكلمات وانواع الصيغ التى تعبر عن وظيفة ما لا توجد في الفكر اللغوى العربى . والمثال السابق اعنى « انواع الوصف » كان مشروحا بجلاء في امهات الكتب العربية .

من هذا ما نقله « السيوطى » قال في البسيط : « جملة ما يوصف به ثمانية اشياء : اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة .. والرابع : المنسوب ، والخامس : الوصف بذى التى بمعنى صاحب ، السادس : الوصف بالمصدر .. وهو سماعى ، السابع : الوصف بالجملة ، الثامن : ما ورد من المسموع غيره نحو مررت برجل اى رجل » (35) .

وهذا مثال واحد من امثلة المواقف الوظيفية في النحو العربى ، وحديث النحويين عن انواع الخبر ، وانواع الحال ، وانواع الصلة ... وغيرها من المواقف لا يقل عن هذا تتبعا واستقصاء .

وما قاله النحاة الغربيون يؤيد ما انتهى اليه العلماء العرب ، من ذلك ما قالوه من ان الـ « Slot » هو المركز او الموضع المعين في التركيب ، والمواقع الوظيفية هى مواقع داخل اطار التركيب تحدد دور الصيغة اللغوية في التركيب والتى لها علاقة بأجزاء

اخرى من نفس التركيب . فالوظائف هى العلاقات النحوية ، وهى تجيب عن السؤال الذى يسأل عن عمل الصيغة في التركيب ويمكن توزيعها او جدولتها على النحو التالى : مسند اليه ، مسند ، وصف واشباهها » (36) .

وقوله : « مواقع داخل اطار التركيب » يجعلنا نرسم اطارا لكل تركيب ثم نقسم هذا الاطار على المواقع الوظيفية فيه . فمثلا : فهم الولد الدرس عبارة عن تركيب يمكن ان يحد بهذا الاطار :

فهم الولد الدرس

وفي داخل هذا الاطار توجد ثلاثة مواقع :

فهم الولد الدرس

وفي الجملة السابقة وامثالها يقول النحويون العرب المتأخرون ان : فهم الولد هو الجملة الاساسية ، وما زاد عليه يعد اضافة او « فضلة »

ومصطلح « الفضلة » هذا يشير الى ان جزء الجملة المعتبر « فضلة » يعد زيادة على اصل المعنى بحيث اذا حذف لا يضر هذا المعنى الاساسى .

وهذه وجهة نظر يبدو عليها التأثر بالمنطق الذى يكتفى من التركيب بتحقيق فاعل الفعل ضرورة ان كل فعل لابد له من فاعل . ووجهة النظر ، المصيبة التى تعبر عن الفكر العربى خير تعبير فيما يتصل بهذه الجملة وامثالها وجدت عند « عبد القاهر الجرجاني » .

يقول عن النحويين : « .. انهم قد اصلوا في المفعول وكل ما زاد على جزئى الجملة انه يكون زيادة في الفائدة ... وينبنى عليه ان ينقطع عن الجملة حتى يتصور ان يكون فائدة على حده ، وهو ما لا يعقل والحقيقة في هذا ان الكلام يخرج بذكر المفعول الى معنى غير الذى كان ، وان وزان الفعل قد عدى الى مفعول معه ، وقد اطلق فلم يقصد به الى مفعول دون مفعول وزان الاسم المخصص

Thinking about language P. 50 (34)

(35) الاشباه والنظائر ج 2 / 97 ، 98 ، ثم انظر ج 2 / 106 قوله : « ولا يوصف بالعلم »

Introduction to Tagmemic Analysis P. 8 (36)

بالصفة مع الاسم المتروك على شياعه ، كقولك :
 جاعنى رجل ظريف مع قولك جاعنى رجل فى انك لست
 فى ذلك كمن يضم معنى الى معنى وفائدة الى فائدة ،
 ولكن كمن يريد ههنا شيئا وهناك شيئا آخر . فاذا
 قلت : ضربت زيدا كان المعنى غيره اذا قلت : ضربت ،
 ولم تزد زيدا ، وهكذا يكون الامر ابدا كلما زدت شيئا
 وجدت المعنى قد صار غير الذى كان » (37) .

وكلام عبد القاهر يمكن وضعه على النحو
 التالى :

فهم الولد جاعنى رجل

فهم الولد الدرس جاعنى رجل ظريف

فالجملتان الاوليان اقتصرت فيهما على الفعل والفاعل ،
 اما الجملتان الاخيرتان فقد زاد معهما التركيب قليلا
 او امتد مرة بذكر المفعول واخرى بذكر الصفة ، وهناك
 مواقع نحوية اخرى يتغير معها معنى التركيب بزيادتها
 فيه ، ولعل هذا مبرر لتناول المواقع النحوية غير
 « الفعل والفاعل » و « المبتدأ والخبر » فى باب واحد
 يمكن ان نسميه « امتداد الجملة » .

ومن الواضح ان اى موقع نحوى يمتد به التركيب
 يساعد المتكلم على الاقتراب اكثر واكثر نحو مستمعه .
 ومن الممكن الافتراض ان كلا من المتكلم والمستمع يقفان
 عند نقطتين متباعدتين .

المتكلم ————— المستمع — بينهما مسافة ،
 واذا وضع المتكلم فى اعتباره ان المستمع يتسأل داخليا
 عن اشياء كثيرة ، كان كل عنصر كلامى يضيفه فى الموقع
 النحوى المعين يساعده على الاقتراب من مستمعه او
 الوصول اليه فتتحقق فائدة اللغة وهى ربط ما بين
 الناس Communication ولعل هذا ما قصده « ابن
 جنى » حين قال : « حال الوصل اعلى رتبة من حال
 الوقف ، لان الفائدة تجنى من الجمل ومدارج القول » .

ويتصل بعناية اللغويين العرب بدراسة التركيب
 والتعرف على علاقاته المختلفة المؤسسة على المواقع
 النحوية او الوظائف التى تؤدىها الكلمات فى التركيب
 ما نجده من حديث عن ترتيب كلمات التركيب .

يقول ابن جنى « عن الاعراب » : هو الابانة عن
 المعانى بالالفاظ الا ترى انك اذا سمعت اكرم سعيد اباه
 وشكر سعيدا ابوه ، علمت برفع احدهما ونصب الآخر
 الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرحا (38) واحدا
 لاستبهم احدهما من صاحبه فان قلت : فقد تقول ضرب
 يحيى بشرى ، فلا تجد هناك اعرابا فاصلا ، وكذلك
 نحوه قيل : اذا اتفق ما هذه سبيله ، مما يخفى فى اللفظ
 حالة الزم الكلام من تقديم الفاعل وتأخير المفعول ما يقوم
 مقام بيان الاعراب ، فان كانت هناك دلالة اخرى من
 قبل المعنى وتقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير نحو :
 اكل يحيى كمثرى ، لك ان تقدم وان تؤخر كيف شئت ،
 وكذلك : ضربت هذا هذه ، وضربت هذه هذا . (39)

فترتيب الكلمات فى الجملة العربية اما ان يكون :

1) ترتيبا حرا اى يجوز فيه تقديم وتأخير الكلمات
 المعبرة عن المواقع النحوية المختلفة . ويحدث هذا فى
 حال وجود او ظهور الحركة الاعرابية ، لانها هى
 العلامة التى تشير الى الموقع المعين تقدم عنصره
 الكلامى ام تاخر . اى ان الاعراب وسيلة تركيبية
 استعانت بها العربية على اضعاف صفة « الحرية »
 و « المرونة » على تراكيبيها .

وعند عدم ظهور الحركة الاعرابية الدالة على
 الموقع النحوى فانه يستعاض عنها بالقرينة المعنوية
 كما فى « اكل يحيى كمثرى » فيجى هنا فى موقع
 الفاعل سواء ذكر قبل كمثرى ام بعدها ، لان المعنى
 يدل على كونه فاعلا ، وقد تكون القرينة لفظية كما
 فى ضربت هذه هذا ، فان الحاق تاء التأنيث بالفعل

(37) دلائل الاعجاز / 349
 (38) هكذا فى الاصل وأرى « شرحا » حقها ان تكون « شرعا » يقال : هما فى هذا الامر شرع واحد اى

سواء . انظر لسان العرب .

(39) الخصائص ج 1 / 35

ضرب قرينة نحوية تشير الى أن الفاعل مؤنث تقدم في التركيب أم تأخر .

(2) ترتيبا مقيدا أى لا يجوز فيه تقديم وتأخير الكلمات المعبرة عن المواقع النحوية المختلفة . ويحدث هذا في حال عدم ظهور الحركة الاعرابية المشيرة الى المواقع وعدم وجود القرينة اللفظية أو المعنوية الدالة على موقع الكلمة في التركيب . ففى جملة مثل : ضرب يحيى بشرى يلتزم الترتيب السابق ان اريد كون « يحيى » فاعلا و « بشرى » مفعولا ، فان اريد العكس كان الترتيب ضرب بشرى يحيى .

وهكذا بان من تتبع هذه

الآراء المبثوثة هنا أو هناك ففى كتب اللغة والبلاغة عناية اللغويين والبلاغيين العرب بدراسة تركيب الجملة بصفته المجال للتعرف على وظائف الكلمات في التراكيب ، تلك الوظائف المرتبطة بمواقعها النحوية وما تشير اليه من ترتيب حر أو مقيد .

• ودراسة التركيب من هذه الوجهة لا تقف عند حد العناية بظاهرة الاعراب : ما هيتهها وعواملها فقط، وانما تنظر الى الاعراب على انه حيلة من الحيل التركيبية التى لجأت اليها اللغة العربية للتعرف على الوظائف النحوية التى تؤديها الكلمات في مواقعها المختلفة في التركيب .

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الاثير ، ضياء الدين ، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم 558 — 637 هـ
- 1 — المثل السائر ، القاهرة ، مكتبة النهضة 1959
- ابن الانبارى ، كمال الدين ، ابو البركات عبد الرحمن بن محمد 513 — 577 هـ
- 2 — اسرار العربية ، ليدن ، بريل 1886
- 3 — الانصاف في مسائل الخلاف ، ليدن ، بريل 1913
- ابن جنى ، ابو الفتح عثمان بن جنى (—) — 392 هـ
- 4 — الخصائص — القاهرة ، دار الكتاب ، 1952 — 1956
- ابن عتيل ، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد 694 — 769 هـ
- 5 — شرح ابن عتيل ، القاهرة مطبعة السعادة ، 1962
- ابن هشام ، جمال الدين ، ابو محمد ، عبد الله بن يوسف 708 — 761 هـ
- 6 — مغنى اللبيب ، القاهرة ، المطبعة الازهرية ، 1928
- ابن يعيش ، ابو البقاء يعيش بن على بن يعيش بن محمد 556 — 643 هـ
- 7 — شرح المفصل ، القاهرة ، ادارة الطباعة المنيرية
- ابو حيان ، على بن محمد بن على بن العباس (—) — 400 هـ
- 8 — الامتاع والمؤانسة ، القاهرة ، لجنة
- التأليف والترجمة والنشر 39 — 44
- ابراهيم انيس ،
- 9 — رأى في الاعراب بالحركات مجلة مجمع اللغة العربية جزء 10
- ابراهيم مصطفى ،
- 10 — مذاهب الاعراب مجلة مجمع اللغة العربية جزء 10
- الاشموني ، على بن محمد بن عيسى 838 — 900 هـ
- 11 — شرح الفية ابن مالك ، القاهرة ، مطبعة مصطفى الحلبي 1939
- الباتلاني ، ابوبكر محمد بن الطيب القاسم (—) — 338 هـ
- 12 — اعجاز القرآن ، القاهرة ، دار المعارف 1954
- برجشتراسر
- 13 — التطور النحوى للغة العربية، القاهرة، مطبعة السماح 1929
- تمام حسان
- 14 — مناهج البحث في اللغة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو 1955
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (—) — 474 هـ
- 15 — اسرار البلاغة استانبول 1954
- 16 — دلائل الاعجاز ، القاهرة ، مطبعة المنار 1912
- الجرجاني ، على بن محمد المعروف بالسيد الشريف 740 — 816 هـ
- 17 — التعريفات ، القاهرة ، المطبعة

الحبيدية 1903

الخطابي ، حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب
البستي ، ابو سليمان 319 — 388 هـ

18 — ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، مصر،
دار المعارف

الرازي ، فخر الدين ، محمد بن عمر بن الحسن
بن الحسين 544 — 606 هـ

19 — نهاية الايجاز في دراية-الاعجاز ، مصر،
مطبعة الاداب 1317 هـ

الزملكاني ، عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف
(—) — 651 هـ

20 — التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز
القرآن ، بغداد ، 1964

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر
(—) — 911 هـ

21 — الانتان في علوم القرآن ، القاهرة ،
المطبعة الازهرية ، 1900

22 — الاشباه والنظائر النحوية ، حيدر اباد،
1316 — 1317 هـ

23 — الاقتراح في علم اصول النحو ، دلهي ،
1313 هـ

شوقي ضيف

24 — البلاغة تطور وتاريخ ، القاهرة ، دار
المعارف ، 1965

ل . ما سينيون

25 — خطوات في الاحتفاظ بعبقرية النحو
العربي ، مجلة مجمع اللغة ج 10

محمد صديق حسن

26 — البلغة في اصول اللغة، القسطنطينية،
مطبعة الجواثب 1878

مصطفى السقا

27 — نشأة الخلاف في النحو ، مجلة مجمع
اللغة العربية ج 10

ناصر اليازجي

28 — فصل الخطاب في لغة الاعراب ،
بيروت 1884

Bollard, Philip Boswood ;

29 Thought and Language. London, 1934.
Borko, Harold ;

30 Automated Language Processing. N.Y.1967
Cook, S.J. Waltera A. ;

31 Introduction to Tagmemic Analysis U.S.A.
1969.

Dixon, Robert M. W. ;

32 What is Language, Britain, 1966.
Gleason, H. A. ;

33 An Introduction to Descriptive Linguistics
U.S.A. 1961.

Lairo, Charlton ;

34 Thinking About Language N. Y. 1961